فرانسواز ساغان وصباح الحزن والنسيان

سلوى جراح
لندن

مرت مؤخراً، بكثير من الصمت والنسيان، الذكرى السابعة لوفاة الكاتبة الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساغان (١٩٣٥-٢٠٠٤) التي كانت في الستينيات رمزاً لا يضاهى لفكرة الأدب النسائي المتميز منذ نشرت روايتها الاولى الشهيرة "صباح الخير أيها الحزن" التي كتبتها في شهور الصيف وهي لم تزل في الثامنة عشرة من عمرها. وقد أثارت الرواية في وقتها، ضجة كبرى لجرأتها وتماسك حبكتها في تصوير حياة سيسيل، الفتاة المراهقة التي تعيش مع والدها الأرمل اللعوب حياة بوهيمية، ثم تأتي إحدى صديقات الزوجة الراحلة لزيارتهما وتنشأ بينها وبين الأب علاقة غرامية لكن سيسيل تتلاعب بهما وتنهي العلاقة وتدفع بالسيدة للانتحار فتهوي بسيارتها في واد عميق. الرواية تحولت عام ١٩٥٨ إلى فيلم سينمائي ناجح من بطولة ديبرا كار ودافيد نيفن والممثلة الشابة جين سيبرغ.

الطريف أن اسم ساغان الذي حملته الكاتبة صاحبة العشرين رواية، جاء أصلاً من رواية الروائي والناقد والكاتب الفرنسي الشهير مارسيل بروست (١٨٧١-١٩٢٢) صاحب أشهر واطول رواية في تاريخ الأدب "البحث عن الزمن الضائع" التي نشرت في سبعة أجزاء تباعاً منذ عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩٢٧. نشرت الأجزاء الثلاثة الأخيرة بعد وفاته ولم يتمكن من تحقيقها وتدقيقها. في رواية بروست الشهيرة، ضمن الألفي شخصية التي تعالجها، في أكثر من ثلاثة آلاف صفحة، شخصية تعرف بالأميرة ساغان، وقد اختارت فرانسواز كوريز، وهذا هو اسمها الحقيقي، أن تحمله لتصبح باسمها الجديد فرانسواز ساغان، من أشهر الروائيات الفرنسيات وواحدة من أهم الروائيات حول العالم. وحين توفيت في الرابع والعشرين من سبتمبر (أيلول) عام ٢٠٠٤ قال الرئيس الفرنسي، آن ذاك، جاك شيراك، في تأبينها : "فقدت فرنسا بموتها أحد أهم كتّابها وأكثرهم حساسيّة، وعلماً من أعلام الأدب الفرنسي".

استطاعت ساغان منذ روايتها الأولى، أن تخلق شخصيات على قدر كبير من الواقعية أصبحت أيقونات للعديد من المراهقين في فرنسا وحول العالم، شخصيات يقارن العديد من النقاد بينها وبين شخصيات الروائي الأمريكي جيروم دافيد سالينجر (١٩١٩-٢٠١٠) الشهير بجي دي سالينجر، خاصة روايته الشهيرة "الحارس في حقل الشوفان" التي نشرت عام ١٩٥١ وتصور تمرد الشباب وضياعهم، مخاوفهم ورغباتهم الحسية، وبحثهم الدائم عن الهوية والانتماء، حتى أن رواية سالينجر تعتبر ضمن أفضل مئة رواية باللغة الانكليزية، كتبت منذ عشرينيات القرن الماضي، وما زال يباع منها كل عام ما يقرب من الربع مليون نسخة، وعليه وجدت ساغان نفسها في سن مبكرة تقارن بكاتب مهم مثل سالينجر، ووجدت رواياتها تأخذ طريقها للسينما. فروايتها "هل تحبين برامز؟" التي صدرت عام ١٩٥٩ تحولت بعد ثلاث سنوات إلى فيلم سينمائي من بطولة إنغريد بيرغمان وأنتوني بيركينز بعنوان "وداعاً مرة ثانية". ويروي الفيلم قصة حب سريعة بين امرأة في أواسط العمر وشاب يصغرها بسنين. وبالمناسبة المقصود ببرامز، هو الموسيقي الألماني وعازف البيانو الشهير يوهانز برامز(١٨٣٣-١٨٩٧) الذي لا تخلو الحفلات الموسيقية حول العالم من مقطوعاته، فحين يلتقي رجل وامرأة غريبان ويرغبان في أن يبدأا شكلاً من أشكال التعارف قد يسأل أحدهما الآخر: "هل تحب برامز؟" أي موسيقى برامز، ليكون ذلك بمثابة بداية للحديث.

لا شك في أن نجاح ساغان المبكر كان حافزاً للإبداع وتقديم المزيد. وهذا ما حدث بالفعل، إذ ظلت تقدم نتاجها الأدبي حتى أواخر التسعينيات من القرن الماضي وحافظت دوماً على أسلوبها الشهير في الرواية، سيكولوجية الغوص في أعماق شخصيات يدور بينها عادة حوار عميق مسترسل، كثيراً ما يوصف بأنه محمل بمفاهيم الفلسفة الوجودية. ولم تكتف فرانسواز ساغان بكتابة الرواية بل امتد نتاجها ليشمل الكتابة للمسرح إضافة للسيرة الذاتية وبعض الأشعار الغنائية. بل لقد تفرغت في ستينيات القرن الماضي للكتابة الى المسرح. ورغم أن النقاد أجمعوا على أن حواراياتها متميزة، إلا أن أعمالها لم تلق النجاح، فعادت تركز جهودها في كتابة الرواية.

تزوجت ساغان مرتين، الأولى من محرر صحفي يكبرها بعشرين عاماً لكن زواجها لم يدم لأكثر من عامين وافترقا في عام ١٩٦٠ لتعود بعد عامين وتتزوج بنحات أمريكي فاشل، عرف عنه أنه زير نساء ولم يدم زواجها الثاني لأكثر من عام واحد. ثم بدأت تقيم علاقات مع عدد من النساء بعضهن كنّ شخصيات معروفة، صحفيات وكاتبات. وقد سُئلت مرة عما إذا كانت تؤمن بالحب فأجابت بكل بساطة: "هل تمازحوني؟ أنا أؤمن بالرغبة التي قد تدوم سنتين أو ثلاث على أكبر تقدير، أما الحب فلا تسألوني عنه". ومن أقوالها الشهيرة: "لا شيء يزيد من الغيرة مثل الاستخفاف بها".

لكن ساغان رغم كل ما اكتنف حياتها الشخصية، أحبت عملها وانهمكت به وعشقت الحيوانات وتربيتها في بيتها، خاصة الكلاب. كما عشقت السفر ودارت في العديد من دول العالم كالولايات المتحدة الأميركية حيث أقامت الكثير من الصداقات مع نجوم السينما. كما عرف عنها تعاطيها المفرط للمخدرات، فقد تعاطت خلال مراحل عمرها المختلفة أنواعاً من المخدرات تراوحت بين الكوكايين والمورفين والمشروبات الكحولية. وفي عام ١٩٩٠ قدمت للمحاكمة بتهمة حيازة الكوكايين. ويروى عنها أن الشرطة جاءت مرة تفتش بيتها بحثاً عن مخدرات فقام كلبها المفضل "بانكو" بقيادة رجال الشرطة إلى مكان الكوكايين، وحين وجده بدأ يلعقه فصاحت ساغان: "أرأيتم حتى بانكو يحبه فلم تحاسبونني"؟

مع حلول الألفية الثانية بدأت صحة ساغان تتدهور وتوقفت تماماً عن الكتابة بل لم تتمكن في عام ٢٠٠٢ من المثول أمام المحكمة في قضية رفعتها عليها مصلحة الضرائب الفرنسية وشملت الرئيس الفرنسي الأسبق فرانسوا ميتيران، فحكمت عليها المحكمة بالسجن مع وقف التنفيذ. وبعد عامين توفيت بجلطة دماغية ودفنت حسب رغبتها في مسقط رأسها. لكن ساغان التي كانت ملء الأسماع في الستينيات لم تعد في عصر التكنولوجيا مثاراً للحديث والجدل، ومرت ذكرى وفاتها بهدوء شديد وانقضت صباحات الحزن.

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

"الاجتهاد" و"القياس" في ترجمة الشعر

ترجمة الشعر هي تمرين على الشعر نفسه. هي تجربة التماهي مع شاعر آخر بطريقة إشكالية لا تستطيع أن تفقد بها، مع ذلك، روحك، ولا أسلوبك ولا خياراتك اللغوية. إنها تأويل. إنها اجتهاد. كتبنا ذات مرة دراسة مطولة تتمحور حول وجود وعي أصوليّ لدى بعض مترجمي الشعر الذاهبين عملياً إلى الاعتقاد بالترجمة الحرفية للنصوص، حتى وإنْ زعموا لفظياً خلاف ذلك. عبَّرتْ تلك المقاربة مع الأصولية عن استياء من الذين يرفضون الاجتهاد ويظلون يصرون مثل الأصوليين على فهم حرفي للنص الأصلي، كلمة مقابل كلمة، بل كلمتهم هم قبل غيرها من الكلمات. اقتراح المقارَبة بالأصولية مشتق أيضا من التراث كما هو واضح. لقد جلب انتباهي للمشكلة الإشارات الكثيرة، الخفية والصريحة، لأولئك الذين يعتقدون بأنهم "المقاولون المتعهدون" الوحيدون بنقل الشعر الفرنسي إلى العربية ومنها. وإذا ما اعتقد جماعة بن لادن مثلاً أنهم الوحيدون في العالم الإسلامي من يمتلك التفسير الصحيح الوحيد للنص القرآني والسنّة، فأن بعض مترجمي الشعر "يكفّرون" بدورهم، وحسب النسق السلفي عينه، ما سواهم من المترجمين، كأنهم يمتلكون خبرة لغوية معاشة مع اللغة الفرنسية في باريس تختلف عن خبرة غيرهم في جنيف أو كندا، وكأنهم يعودون لقواميس مغايرة للقواميس الفرنسية الشهيرة "لاروس" و"بتي روبير" الصغيرة والكبيرة. التكفير يذهب أحياناً إلى أقصى مدياته كما قرأنا جميعاً هنا وهناك وبأقسى العبارات. يجوز السجال بالطبع عن الترجمات ودقتها شريطة امتلاك المحبة والتقدير المتبادل اللائق وبالفعل الثقافي لجهود الآخرين. وهو ما لم نشهده في الأمثلة المعروفة من السجالات "التكفيرية" المعروفة عن الترجمات الشعرية خاصة. نظرياً يعترف هؤلاء الأصوليون بالتأويل جوهراً للترجمة، لكن عملياً لا يعترفون إلا بأنفسهم كمؤوَّلين للنصوص. هنا إفراطٌ وعدم محبة للعالم.

في المقاربة بين تلك السجالات والوعي الأصولي الشقي استشهدتُ بأربع ترجمات متوالية لقصيدة أدغار ألن بو "الغراب" إلى اللغة الفرنسية، اثنين منها على يد شاعرين من كبار شعراء الفرنسية، واستنتجتُ أن المقدار الذي يذهب فيه تأويل تلك الترجمات للبيت الأول وحده من قصيدة بو، كان يمكن أن يدفع بتكفيريينا إلى أشد الفتاوى تطرفاً، وهو ما لا يحدث في الثقافة الفرنسية التي تُدرك المغزى العميق لعملية التأويل وتسمح بفسحة كبيرة من الحرية لخيار المترجم. أما الحديث عن "شعرية الترجمة" فيبدو في ثقافتنا محض عبارة عريضة برّاقة أو فكرة ممنوحة لنخبة افتراضية فحسب، مع اعتراف أصوليو الترجمة، بالجوهر التأويلي شريطة أن تقنعهم، هم قبل غيرهم، معارفنا الدقيقة بخفايا اللغة المنقول عنها، كأنهم يقصرونها على أنفسهم وجماعة مختارة أخرى. وهنا يتجلى مرة أخرى "الوعي الأصولي" الذي يزعم معرفته وحده و"جماعته" بخفايا النصوص. نعرف الفارق في الفقه الإسلامي بين "الاجتهاد" و"القياس". نحن ميالون، إزاء عملية الترجمة، إلى الاجتهاد، بينما يبحث الأصوليون عن معايير القياس، قياسهم.

في مهرجان أبو ظبي السينمائي

انتهاء مسابقة فرانس ليست العالمية للبيانو

ثائر صالح
بودابست

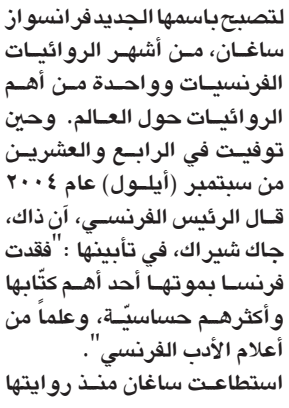

فرانس ليست

انتهت في بودابست، الاثنين الماضي، مسابقة فرانس ليست العالمية للبيانو، بمشاركة ٥٣ متسابقاً من ١٤ بلداً، بضمنهم ٢٣ متسابقاً من الدولة المضيفة، المجر. وتنظم المسابقة بمناسبة الاحتفاء بالذكرى المئوية الثانية لولادة فرانس ليست التي تحل اليوم، السبت ٢٢ تشرين الأول. وكان العالم الموسيقي الأمريكي تشارلز روزن قد دعي لترؤس اللجنة التحكيمية، إلا أنه اعتذر بسبب مرضه، فاختير البروفيسور بيتر ناج أستاذ جامعة فرانس ليست للموسيقى في بودابست لرئاسة اللجنة المتألفة من سبعة أعضاء من ألمانيا (عازف البيانو رولف-ديتر آرنس عميد معهد فرانس ليست العالي في فايمار) وعازفي البيانو ويليام فونغ من بريطانيا وإيك-تشو مون من كوريا الجنوبية، والفنانة الجورجية الأصل اليسو فيرشالادزه، بالإضافة إلى ممثلين اثنين عن المجر هما كالارا هامبورغر نائبة رئيس لجنة العلوم الموسيقية وعازف البيانو كاروي موتشاري مستشار جمعية فرانس ليست المجرية.

وكان على المتسابقين تقديم برنامج طوله ٢٠ دقيقة، بضمنه عملان محددان لفرانس ليست في التصفيات الأولية، وفي التصفيات الوسطية مصاحبة المغنين وتقديم ما يختارون من أعمال ليست، أما في الجولة الأخيرة فقد ألزموا بتقديم أعمال معينة، واختيار واحدة من كونشرتات البيانو.

فاز بالمرتبة الأولى البريطاني الكسندر اولمان (٢٠ سنة)، وبالثانية الروسي إيليا كوندراتييف (٢٤ سنة)، وبالجائزة الثالثة المجري ياوش بالاج (عمره ٢٤ سنة كذلك).

وقررت اليونسكو اعتبار العام الجاري سنة دولية للموسيقار المجري فرانس ليست الذي كان من أشهر الشخصيات الموسيقية والفنية في القرن التاسع عشر وأكثرها تأثيراً.

التونسي رضا الباهي يستحضر مارلون براندو.. والجناحي يقدّم تجربته الروائية الثانية

إعلان جوائز مسابقة الإمارات

علاء المفرجي

بعد غياب طويل، يعود المخرج التونسي رضا الباهي من خلال فيلمه الجديد (دائما براندو)، الذي يتنافس على جائزة الفيلم الروائي الطويل.

وحكاية هذا الفيلم تبدأ قبل أكثر من ثمانية أعوام ، عندما تناقلت أخبار الدوريات الفنية مشروع عمل النجم الهوليوودي الكبير مارلون براندو تحت إدارة الباهي، لكن وفاة براندو عطلت هذا المشروع، أو على الأقل أحدثت أكثر من تغيير في كتابة السيناريو ضمن نسخته النهائية، فضلا عن حكاية الفيلم التي وضعها الباهي نفسه،والتي تحوي أيضا تجربة المخرج في مسعاه لإقناع براندو بالعمل معه والذي أجهضته الوفاة المفاجئة لبراندو.

وموضوع الفيلم لا يبتعد كثيرا بأية حال عن انشغالات الباهي في أفلامه الأخرى، والمتمثلة بمسألة الهوية، والعلاقة مع الآخر، والآخر في هذا الفيلم نموذجان: الايجابي الذي جسد بعبقرية التمثيل الهوليوودية براندو الذي عرف بمواقفه المناصرة لقضايا الشعوب، والسلبي المتمثل بفريق أميركي لتصوير فيلم بإحدى القرى التونسية والذي يحدث تواجده فيها تغييراً في استقرارها وطبيعة علاقاتها، بدءا من الشخصية الرئيسة في الفيلم أنيس (الممثل أنيس الراشي) الذي يمتلك شبها كبيرا بالنجم السينمائي، وهو ما يجعل فريق العمل يعرض عليه احد ادوار الفيلم، ما يشحذ رغبته في تقمص شخصية هذا النجم والحلم بلقائه من خلال السفر إلى أميركا ، ثم نهايته المأساوية، بينما كان يحاول أن يحقق حلمه في نفس الوقت الذي تنتهي فيه حياة براندو نفسه.

الفيلم أيضا تحية للسينما في هذا العالم الجميل من خلال السيرة الحقيقية للمخرج نفسه. وهو ما يعيدنا إلى فيلم الايطالي جوسيب تورناتوري (سينما باراديسو).

من جهة أخرى، حضرت الإمارات في دورة هذا العام بقسم (آفاق جديدة) من خلال فيلم (ظل البحر) للمخرج الشاب نواف الجناحي، الذي يتناول حكاية مراهقيْن يحاولان اكتشاف وتأكيد ذاتيهما وسْط قيود وتقاليد اجتماعية لا تسمح بذلك .

وفي تجربته الروائية الثانية بعد فيلم (الدائرة) الذي قدمه قبل عامين يبدو الجناحي قد رسخ خطواته في الانغمار بعالم السينما بعد تطوير أدواته وخبرته في هذا المجال.

ومن جانب آخر، أعلنت، أمس الجمعة، جوائز اللؤلؤة السوداء في مسابقة الأفلام القصيرة وأفلام الإمارات، حيث نال فيلم "روح" للمخرجة الإماراتية فاطمة عبد الله الجائزة الأولى للفيلم الروائي القصير وجائزة أفضل فيلم إماراتي، ونال فيلم "رنين" للمخرج العماني ميثم الموسوي جائزة لجنة التحكيم الخاصة، وفي الأفلام الوثائقية القصيرة فاز فيلم "عيال الصقور ما تبور" للمخرج الإماراتي منصور الظاهري، وفي الأفلام الروائية القصيرة من إخراج الطلبة فاز فيلم "كاميرا ماهر" للمخرج منصور البدران من السعودية، وفي مسابقة الأفلام القصيرة ٢٠١١ التي ارتبطت الأفلام القصيرة بالمخرجين الشباب لكونها تقدم شكلاً فنياً مميزاً ببنية أولية، وهي غالباً ما تقربنا من جوهر فن السينما. ضمن هذه المسابقة كانت المشاركات من جميع أنحاء العالم، الأمر الذي أغنى برنامج المسابقة برؤى وأساليب متنوعة.

وتنافست ضمن مسابقة الأفلام القصيرة أفلام روائية ووثائقية وأفلام تحريك قصيرة لمخرجين جدد ومكرسين من العالم، بما يشكل مصدر دعم للأفلام القصيرة. وتنافس في دورة مهرجاننا لهذا العام، ٣١ فيلماً قصيراً من ٢٣ بلداً، كما تميزت هذه الدورة بجائزتين أطلقتا حديثاً وخصصتا بمنتجي الأفلام القصيرة. وقد فاز فيلم "زواج" إخراج هنينغ روزنلند من النرويج بجائزة هذه المسابقة، وهو دراسة رائعة ورقيقة عن الخوف، والخسارة، والوحدة، والأمل باتصال إنساني، اتسمت بالتناغم بين الموضوع والتقنية السينمائية. تمثيل ممتاز واستخدام مؤثر للصوت والموسيقى، كما جاء في بيان لجنة التحكيم، وفاز فيلم (سلام غربة) بجائزة أفضل فيلم من العالم العربي.

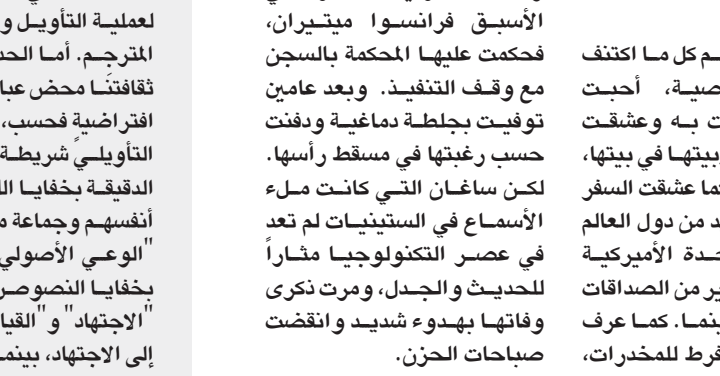

وفي إطار النشاطات المصاحبة أقيمت أمس جلسة نقاشية بعنوان "من الأفلام القصيرة إلى الطويلة"، حيث انصب النقاش حول ما يوفره الفيلم القصير من منصة ضرورية لإثارة الاهتمام وتأمين التمويل لمشاريعهم السينمائية الطويلة. لكن ما هي التحديات التي ترافق هذه القفزة من الأفلام القصيرة إلى الطويلة؟ وما هي المتطلبات الفنية الجديدة التي تواجه الكاتب والمخرج وغيرهما؟ وهل من الممكن العمل مع الفريق نفسه، أم أن الأمر يتطلب فريقاً جديداً؟ كيف تتبدل التوقعات بالنسبة إلى الإنتاج النهائي؟ هذه الأسئلة وغيرها يناقشها اليوم مجموعة من المخرجين الذين يتشاركون في تجاربهم ويقدمون النصح لصناع الأفلام الجدد، ويناقشون الاتجاهات الراهنة والقضايا التي تواجه صناعة الفيلم القصير.

هذا وستختتم اليوم الدورة الخامسة من مهرجان أبو ظبي السينمائي بحفل توزيع جوائز اللؤلؤة السوداء على الأفلام الطويلة الفائزة لعام ٢٠١١، المقام في فيرمونت باب البحر. ويحضر حفل الختام عدد من الضيوف الخاصين ونجوم السينما العربية والعالمية. حيث ستشهد السجادة الحمراء مرور النجمين البريطانيين الكبيرين تيلدا سوينتون وروبرت فريند إلى جانب عدد من نجوم الخليج مثل أحمد إيراج، زينة كرم وطارق العلي.

هذا وتحضر النجمة تيلدا سوينتون إلى أبو ظبي لتسلم جائزة اللؤلؤة السوداء للتميز المهني التي يقدمها لها المهرجان تقديراً لموهبتها الفذة في عدد من الأعمال المتنوعة. بينما يحضر الممثل روبرت فريند ليقدم شخصياً فيلمه القصير الحاصل على جوائز، "ستيف"، من بطولة كولن فيرث وكيرا نايتلي، الذي سيعرض في حفل الختام.